وكان الطبيب ، مرارا ، ليلا او نهارا ، يحضر للمنزل عند اول اشعار . آخ .! لا وقت الآن للتذكر ، ولتعداد ذلك . فكل ما يجول الآن في الخواطر أمر واحد : ــ كيف استطعت أن أنسى . ولو لدقيقة .!

ــ كيف استطعت أن أنسى ؟!

لقد استمعت للعديد من هذه الاعترافات من المواطنين السوفييت السابقين الذين فروا من اسرائيل . وعندما اتذكر تفاصيل ودقائق حكاياتهم أرى بوضوح ، أن غربتهم لم تبدأ من مركز التجمع ، وانما بدأت من النكران الاسود بالعرفان لأخوة العائلة بين الشعوب السوفييتية . من الخيانة ، حيث كان القلب ينطوي على افكار لحساب « الوطن الثاني » . ومن النسيان الذي لا يغتفر ، لكل ما أعطته لهم الارض الغالية . وان هذا النسيان لهو الفاصل الاول للانهيار الذي قادهم الى المصير الرهيب ، حيث يعتبرون الآن مواطنين سابقين للدولة السوفييتية .

[١٤]
اسوأ من الموت

السابقون . . !

الا يبدو أن هذه الكلمة كثيرا ما تتكرر في مقالاتي الوثائقية ؟

كلا . انها الكلمة التي لا تعرف الحلول الوسطية والقادرة على طرح الوصف الدقيق لمصائر هؤلاء الناس الذين غادروا الاتحاد السوفييتي الى اسرائيل .

ومع أن هؤلاء الذين تحدثت عنهم لم يرغبوا في أن يتحولوا الى مواطنين اسرائيليين ، لانهم تيقنوا بعد أن رأوا بأم عيونهم ، أنهم سقطوا على أرض غريبة ، وبين أناس غرباء ، وفي وسط اجتماعي غريب . . بكلمة واحدة . . سقطوا في الغربة . وعلى رغم كل ذلك ، فهم السابقون . وبكل ما تحمل هذه الكلمة من قسوة في الرأي .

لقد كانوا أناسا يتمتعون بحقوق كبيرة . وكانت آفاقهم بلا حدود . وكانت الدروب مفتوحة أمامهم على مصراعيها ، ولكنهم ضلوا في متاهاتها المظلمة . كانوا واثقين من مستقبل أطفالهم . أما الآن ، فليس لهم الحق أن ينظروا في عيون هؤلاء الاطفال ، والا فسوف يصطدمون بنظرات مشحونة بالتنديد .

وعلى الرغم من كونهم غارقين في مصائبهم ، الا أنهم يفكرون في أولئك الذين بدأت تتحرك في بطونهم سموم الدعاية الصهيونية ، حيث يقفون على حافة القدر المحتوم .

انني أجد نفسي ملزما في هذه المذكرات التسجيلية التي لم ارتكب في اية كلمة من كلماتها الخطأ ضد الحقيقة بأن أختتمها بكلمات المهندس زيلبرفاين وهو أحد القاطنين في البيت القائم على مالتسغاس . انه كثير الصمت ، ويمعن في التفكير . وتجده كذلك يصمت ، حتى عندما تسيل من حوله دموع الذكريات عن مدينته أوديسا ، والتي لا يحق له الآن أن يطلق عليها أوديسته الغالية بحكم خطيئته التي ارتكبها .

قال زيلبرفاين :

ــ أريد أن أصرخ بأعلى صوتي . وأصرخ حتى يسمعني كل من يلتف حول المذياع في الليالي ، ويصطاد « صوت اسرائيل » الذي سبب لنا آلاما لا نظير لها .

ــ أريد أن أصرخ : أيها الناس لا تكرروا خطأنا الرهيب ، لأن هذا الخطأ قد يبدو من المستحيل علاجه .

ــ أيها الناس . انه لأسوأ من الموت أن يصبح الواحد منا مواطنا سابقا للوطن السوفييتي .